



دراسة

حول الاديان في افريقيا

تأليف

الشيخ ليث عبد الحسن العتابي

مدخل لدراسة الأديان
دراسة حول الأديان في أفريقيا
أفريقيا موطن التنوع الديني

تأليف

ليث عبد الحسين العتابي



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين و

على آله الطيبين الطاهرين و صحابته الكرام المتوجبين

لقد مثل الدين بصفته ظاهرة مركبة في الحياة الإنسانية ، محوراً أساسياً انشغل به الفكر الإنساني منذ الآف السنين وفي مختلف مجالات الثقافة الإنسانية وفروع المعرفة البشرية . فقد كانت دراسة الدين حاضرة في الكثير من العلوم الإنسانية كالقانون و الفلسفة و الأخلاق و اللاهوت و التاريخ و العلوم الاجتماعية وغيرها من العلوم الأخرى . كما و ان تناول الظواهر الدينية موجود في الدراسات الرائدة في علم الاجتماع ، بل نستطيع القول ان الظواهر الدينية كانت محفزاً و دافعاً لهنـه الـدراسـات .

يؤكد العالم (لييك) في كتابه المسمى (اصول الحضارة) انه كانت لدى اقل الشعوب تحضراً مرحلة اولى كانت خلواً من كل ديانة على وجه الاطلاق ، لكن المتأخرین من المستكشفيـن لم يعترفوا بالامثلة التي ضربها (لييك) فهم يقولون انه ليس ثمة وجود على الاطلاق لأثر من اللادينية المزعومة لدى الانسـانـية الـبدـائـية¹ .

أما من جانب الـدراسـات الانثـرـوبـولـوجـيةـ الخاصةـ بالـديـنـ فقدـ شـكـلتـ الـظـاهـرـةـ الـديـنـيـةـ محـورـاـ أساسـياـ فيـ الـدرـاسـاتـ الرـائـدةـ فيـ الـعـلـومـ الـاجـتمـاعـيـةـ مثلـ عـلـمـ الـاجـتمـاعـ وـ الـانـثـرـوبـولـوجـياـ ،ـ وـ ذـلـكـ لـأـنـ الرـوـادـ الـأـوـائـلـ هـذـيـنـ الـعـلـمـيـنـ فيـ أـورـباـ

¹ : نشأة الدين ، النظريات التطورية و المؤلهة ، علي سامي النشار ، ص ٣٠ .

كانوا مدفوعين بدافع البحث عن بدائل للانهيارات في المؤسسات الدينية بسبب الثورة الصناعية و الثورة السياسية التي حصلت منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وكأنهم كانوا يبحثون عن علم اخلاق بديل للاخلاق التي كانت تفرضها المنظومات الدينية .

ان المادة التي استخدمها العلماء الرواد في مجال الانثروبولوجيا ودراسة الظواهر الدينية ، هي تقارير استخدمها هؤلاء العلماء من اجل ثبيت نظرياتهم .

ان هذه التقارير لم تكن مليئة بالغالطات فحسب ، بل لقد كانت انتقائية تماماً وهذا هو صلب الموضوع . فالرحلة و المغامرون و الضباط الاستعماريون كانوا يبحثون عن كل ما هو غريب و جذاب و ملفت للمجتمع الغربي ليركزوا عليه ملاحظتهم و مذكراتهم ، و هكذا كان للسحر و الطقوس الدينية البدائية و الغيبيات الحصة الاكبر في هذه الكتابات ، بل نستطيع القول انها شكلت تسع اعشار دراسة المجتمعات البدائية¹ .

لقد كان البشر ولا يزال يتصرف وفق أحاسيسه المخدودة ، وعواطفه الكامنة ، كما وكان يظهر أحاسيسه ، وعواطفه وفقاً للوسائل ، والإمكانيات المتوفرة لديه ، و الموجوحة في عصره .

و من خلال تتبع الآثار التاريخية المتروكة عن ذلك الإنسان يمكن ملاحظة انه كان يعتقد بوجود خالق للكون في جميع تلك الفترات ، والأدوار (فالكل يعلم بوجوب وجود الخالق لكن الاختلاف وقع في كيفية العبادة ، والتقرب ، و الطاعة لذلك الخالق) .

¹ : نظريات الدين البدائي ، ادورد ايفان اي凡ز بريتشارد ، ص ١٥٢

فنرى ذلك الإنسان في كثيراً من الأحيان تشبهه عليه ضالته ، فيلتجئ إلى الإجرام السماوية ويعتبرها هي الخالقة ، والمؤثرة ، وتارة يلتجئ إلى غيرها لاعتقاده بمؤثرتها .

(أن الإنسان في مزلة من تجسيم الأمور المعنوية ، وسبك غير المحسوس في قالب المحسوس بالتمثيل ، والتصور وهو مع ذلك مفظور للخضوع أمام أي قوة فائقة قاهرة ، والاعتناء بشأنها)^١ .

و الحمد لله رب العالمين

ليث العتابي
العراق - النجف الأشرف
٢٠١٨ ميلادي



^١ : الميزان ، الطباطبائي ، ج ١٠ ، ص ٢٩٣ .

الدين

يعتبر تعريف الدين (Religion) من أصعب الموارد على الإطلاق و ذلك للتنوع الهائل في الأديان داخل المجتمعات البشرية قديماً و حديثاً .

نعم يمكن أن نسعى لتحصيل الوجوه المشتركة و المتقاربة في تعريف الماهية العامة للدين من خلال الوقوف على المشتركات و بالخصوص الروحية و الفطرية منها ، و مع ذلك فإنه كان من الصعب الحصول على تعريف مشترك وسط هذا الكم الهائل من التنوع البشري .

و ظل يدور ما بين الإيمان ، و الأعتقداد ، و الطاعة ، و الإتباع ، و العبادة ، و بذلك فقد عُرف بملازماته لا بحقيقةه .

و يُعرف الدين على أنه : مجموعة من الأعتقدادات المبدئية المنظرة و الملاحظات الاجتماعية¹ . و هو من الظواهر البشرية التي تحدد سلوك الناس حتى لينعكس أثره على الخارطة السياسية . و هو عامل من العوامل التي تميز الجماعات البشرية بعضها عن البعض الآخر .

لابد أن نقف هنا عند قضية مهمة تتعلق بالدين ألا و هي : إلى أي حد تعدد ظاهرة الدين ظاهرة عريقة في القدم ؟ و هل سبقت المادية ؟ أم تأخرت عنها في الوجود ؟ أم اقترنـت بها ؟

للجواب عن ذلك : نقول : إننا لن نحصر الدين في زاوية واحدة ، و لن ننظر إليه من منظار واحد فقط ، بل سنتعرض للنظريات العامة حول الدين ، حتى نصل إلى حقيقة معينة ، و مدى إقناع معين ، لتحصل من خلاله على الفائدة المرجوة .

¹ : Websters , The Third Vem International Dictionary Spring Field mass .Gt (marrian) 1961 .

إن بعض كتاب القرن الثامن عشر من مهدوا للثورة الفرنسية قد ذهبوا إلى أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات مستحدثة ، و أعراض طارئة على البشرية حتى قل (فولتير) : (إن الإنسانية لابد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة ، قوامها الحرف ، والنحت ، والبناء ، والخدادة ، و النجارة قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات)^١ .

بل قل : (إن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاء ماكرؤن ، من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسفهاء)^٢ .

إن هذه النظرة الساخرة إلى الأديان والقوانين ليست مبتكرة ، وإنما هي تردید لصدى مجون قديم ، كان يتفكه به أهل السفسطة في اليونان القديمة ، و كانوا يروجون ذلك ضمن مغالطاتهم و تشكيكاتهم التي طالت الكثير من الثوابت ، و جاوزت حدتها في كثيرٍ من الأحيان .

فقد زعم هؤلاء السوفسطائيّة (أن الإنسان كان في أول نشأته يعيش بغير رادع عن قانون ، ولا وازع من خلق ، وأنه كان لا يخضع إلا إلى القوة الباطشة .. ثم كان أن وضعت القوانين ، فاختفت المظاهر العلنية من هذه الفوضى البدائية ، ولكن الجرائم السرية ما برحـت سائلة منتشرة .. فهـنـاك فـكـر بـعـض العـبـاقـرـةـ في إقناع الجـمـاهـيرـ بـأنـ فيـ السـمـاءـ قـوـةـ أـزـلـيـةـ أـبـدـيـةـ تـرـىـ كـلـ شـيـءـ ، وـ تـسـمـعـ كـلـ شـيـءـ ، وـ تـهـيـمـنـ بـحـكـمـتـهاـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ ...)^٣ . و هـكـذـاـ لمـ تـكـنـ القـوـانـينـ وـ الـدـيـانـاتـ فيـ تصـوـيرـهـمـ إـلـاـ ضـرـوـيـاـ مـنـ السـيـاسـةـ الـمـاهـرـةـ الـتـيـ تـهـدـفـ إـلـىـ عـلـاجـ أـمـرـاـضـ الـجـمـعـمـ بـكـلـ حـيـلـةـ وـ وـسـيـلـةـ .

¹ : Voltaire , Essai sur les moeurs , p.14 .

² : Id.Ibid.p.133 .

³ : Voir P . de la Boullaye , ouvrage cite , I , 17 -18 .

و لقد أعاد على بعث هذه الآراء و ترويجها في أوربا الحديثة سببان : أحدهما :
الأنحصار الخلقي عند نفر من رجال الكنيسة ، و الثاني : ظلم القوانين الوضعية
و سوء توزيع الثروة العامة . فكان من السهل أن يظن الناس أن الدين و
القانون كانا كذلك في كل زمان و مكان .

على أنه لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم ، حيث
كثرت الرحلات إلى خارج أوروبا ، و اكتشفت العوائد و العقائد و الأساطير
المختلفة ، و تبين من مقارنتها أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخلي عنها أمة من
الأمم في القديم و الحديث ، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي و دركات الهمجية .
و هكذا ظهر أنها أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية ، و أنها لم تقم على
خداع الرؤساء و تضليل الدهلة ، و لم ترتكز على أسباب طارئة أو ظروف
خاصة ، بل كانت تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس .

و علم أن عموم الأديان لجميع الأمم لا يعني عمومها لكل أفرادها ، فإنه لا تخلي
أمة من وجود (ذاهلين) قد غمرتهم تكاليف الحياة و أعباءها ، إلى حد أنهم لا
يجدون من هدوء البال و فراغ الوقت ما يمكنهم من رفع رؤسهم للنظر في تلك
الحقائق العليا ؛ كما لا تخلي أمة من (منكرين ساخرين) يحسبون الحياة هلوأً و
لعباً ، و يتخذون الدين وهماً و خرافة ، لكن هؤلاء دائماً هم الأقلون في كل أمة
، و هم في الغالب من المترفين الذين لم يصادفهم من عبر الحياة و أزماتها ما
يُشعر نفوسهم معنى الخضوع و التواضع ، و ما يبنه عقوفهم إلى التفكير في
بداياتهم و نهاياتهم . و هذا الاستثناء من القاعدة لا ينفي كمون الغريزة الدينية
بصفة عامة في طبيعة النفس الإنسانية ، كما أن غريزةبقاء النوع لا يمنع عن
عمومها أن بعض الناس لا يتزاوجون و لا يتناسلون .

و لسنا ننكر أن تكون هناك عقيلة معينة قد استحدثت في عصر ما ، أو أن يكون ثمة وضع خاص من أوضاع العنادات قد جاء مجاوباً مصنوعاً ، فذلك سائع في العقل ، بل واقع بالفعل . أما فكرة التدين في جوهرها فليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان .

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (إن الغريزة الدينية : مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، حتى أشدّها همجية ، و أقربها إلى الحياة الحيوانية ... و إن الاهتمام بالمعنى الإلهي و بما فوق الطبيعة هو أحد النزعات العالمية الخالدة للإنسانية^١) .

و كتب (بارتيلمي سانت هيلير) : (هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاء؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهمما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا ؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ و ما علاقتنا بهذا الخلود .. ؟ هذه الأسئلة . لا توجد أمة ، ولا شعب ، ولا مجتمع ، إلا وضع لها حلولاً جيدة أو ردية ، مقبولة أو سخيفة ، ثابتة أو متغيرة ...) .

و يقول (هنري برجسون) : (لقد وجدت و توجد جماعات إنسانية من غير علوم و فنون و فلسفات ، و لكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة^٢) . كما و يقول (ماكس مولر) : (إن الناس كانوا في أقدم عهودهم على التوحيد الخالص ، و ان الوثنية عرضت عليهم بفعل رؤسائهم الدينيين^٣) .

¹ : L'aréosse du XXeme siècle , article : Religion .

² : B.St . Hiliaire , Mahomet et le Coran , P . XXXIV .

³ : Henri Bergson . Les Deux Sources de la Morale et de la Religion , p . 105 .

⁴ : من مقدمة (تفصيل آيات القرآن الحكيم) لـ: جون لابوم ، نقله إلى العربية : محمد فؤاد عبد الباقي .

و في دراسة عن عقائد القبائل في أفريقيا وجد (أن فكرة الله الأعلى ، تكاد تكون موجودة لدى جميع القبائل . بل إن مفهوم الذات الإلهية الكلية الحضور ، و الذاتية الإكتفاء ، و الشاملة القدرة ، نجده بين كثير من القبائل .. و مفاهيم الخير و الشر موجودة أيضاً في هذه الديانات " الأفريقية " ، بل لعلها عميقـة الجذور فيها إلى حد لا يتصوره الكثيرون)^١ .

^١: الرب ، و الله ، و جوجو : الأديان في أفريقيا المعاصرة ، الفن جاك مندلسون ، ص ١٠٨ .

الأنثروبولوجيا الدينية

إن (الأنثروبولوجيا الدينية) هي : دراسة متعمقة للشعوب و معتقداتها ، و كيف تعمل هذه المعتقدات في التشكيلة الثقافية لشخصية الإنسان في المجتمع المعنى أو المجتمع تحت الدراسة ، و في هذا المضمار لا تشكل الأنثروبولوجيا الدينية دراسة لاهوتية ، و لا تشكل أيضاً دراسة حول الحقيقة الإلهية للدين ، بقدر ما هي دراسة للإنسان ، ما يعتقد به و ما يشكل بالنسبة له حقيقة مطلقة . ان الديانة و المعتقدات ليست أشياء مادية نتعامل معها ، و ربما أن مثل هذه المفاهيم المعنوية تتشابك مع مفاهيم معنوية أخرى نتعامل معها كالعادة ، و القيمة ، و المعيار ، و الأخلاق ، و غيرها . جميع هذه مفاهيم غير مادية لا نعرفها إلا من خلال الكلمات و السلوكيات التي تدل عليها و تشير إليها .

فالمعتقد ليس شيئاً حسياً نستطيع وصفه فهو شيء لا يعرف إلا بما يعبر عنه صاحب المعتقد أو ما نفهمه من صاحب المعتقد نفسه .

و لقد وقع الاختلاف في الآراء حول مدى التفاعل ما بين الدين و الثقافة ، و هل أن الثقافة ترتكز على الديانة و أن الديانة هي أصل الثقافة ؟ أم أن الديانة هي أحدى المكونات لثقافة الفرد و المجتمع ؟ . ذلك لأن الديانة في لحظة ما تصبح منسوجة بالثقافة ، كما و أن الثقافة تصبح مندجة مع الرؤية الدينية بحيث يصعب الفصل فيما بينهما .

كما و أن التركيز في الأنثروبولوجيا الدينية يقع على مفهوم الحضارة أكثر مما يقع على مفهوم الديانة لأن الحضارة التي توجد فيها الديانة أو ديانة ما هي التي تحدد طبيعة هذه الديانة ، و يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك لنقول : إن اهتمام الأنثروبولوجيا الدينية يتركز على الخصائص الاجتماعية للدين . و عندما نتكلّم

عن الديانة هنا فإننا نتكلم عن ديانة مجموعة إنسانية لها ثقافة معينة كما هو الحال في الحديث عن الحضارة . و الديانة هي دائمًا ديانة مجموعة معينة من الناس ، فحين نتكلم عن ديانة الفرد فإننا نفكر بديانة الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الفرد والتي يشاركها حضارتها أو ثقافتها . و من المؤسف له أن كثيراً من المفكرين يغفلون عن أهمية الارتباط بين ظاهرة الدين و جماعة معينة من الناس .

لقد شكلت الظاهرة الدينية محوراً اساسياً في الدراسات الرائدة في العلوم الاجتماعية مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، وذلك لأن الرواد الأوائل لهذين العلمين في أوروبا كانوا مدفوعين بدافع البحث عن بدائل للانهيارات في المؤسسات الدينية بسبب الثورة الصناعية و الثورة السياسية التي حصلت منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وكأنهم كانوا يبحثون عن علم أخلاق بديل للأخلاق التي كانت تفرضها المنظومات الدينية .

ان المادة التي استخدمها العلماء الرواد في مجال الأنثروبولوجيا و دراسة الظواهر الدينية ، هي تقارير استخدمها هؤلاء العلماء من أجل تثبيت نظرياتهم .

ان هذه التقارير لم تكن مليئة بالغالطات فحسب ، بل لقد كانت انتقائية تماماً وهذا هو صلب الموضوع . فالرحلة و المغامرون و الضباط الاستعماريون كانوا يبحثون عن كل ما هو غريب و جذاب و ملفت للمجتمع الغربي ليركزوا عليه ملاحظتهم و مذكراتهم ، و هكذا كان للسحر و الطقوس الدينية البدائية و الغيبيات الحصة الاكبر في هذه الكتابات ، بل نستطيع القول انها شكلت تسع اعشار دراسة المجتمعات البدائية¹ .

¹ : نظريات الدين البدائي ، ادورد ايفان اي凡ز بريتشارد ، ص ١٥٢ .

كما وان اعتماد الرواد على (التاريخ الظني) او الافتراضي اوقعهم في كثير من الاخطاء ، لانهم كانوا يحاولون رسم خط التطور التصاعدي للمجتمعات الانسانية من اوطأ درجات سلم التطور الذي اعتبروا اولى خطواته هي المجتمعات البدائية المعاصرة لهم ، و تعاملوا معها على انها نوع من المتحجرات الاجتماعية ، معتمدين على طريقة قياس اثبتت خطلها ، و هي ان المجتمعات المختلفة تقنياً لابد و ان تكون نظمها الاجتماعية بداعية مثل تقنياتها ، بينما اثبت العلماء اللاحقون ان كثيراً من نظم و انساق المجتمع البدائي كانت متطرورة و عملية ، فالفن البدائي مثلاً متتطور اذا ما تعامل معه الناقد بموضوعية ، و كذلك نظم الادارة و الحريات الفردية التي يعيشها الفرد في ضمن بدناته الاجتماعية¹ .

¹ : البدائية ، اشلي مونتياغو ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

تصنيف الأديان

إن تصنيف الأديان أما يكون تبعاً لنشأتها ، أو تبعاً لعدد أتباعها ، و أحياناً يكون تبعاً لفروعها الرئيسية (سماوية و غير سماوية) ، و في تصانيف أخرى تعتمد الموقع الجغرافي ، فالآديان التي نشأت في شرق آسيا - مثلاً - تسمى بـ (الشرقية) ، والتي نشأت في غرب آسيا تسمى بـ (الغربية) .

إن الآديان العالمية الكبيرة الأربع : المسيحية و الإسلام و الهندوسية و البوذية تضم (٧٠ %) سبعون بالمائة من سكان العالم ، ينتشرون على أجزاء واسعة من الكره الأرضية ، بينما تشكل اليهودية (٥ %) ، و الوثنية (١٠ %) ، و نسبة الـ (١٥ %) الباقية تتوزع على الآديان الصينية و الديانات الهندية الأخرى .

و بالنسبة للديانات الوثنية فإنها توجد في جهات متفرقة و محددة من الجهات القطبية و الأستوائية ، و هي لا تتركز في منطقة واحدة ، فهـي - مثلاً - تشكل نسبة (٤٧ %) من مجموع السكان في أقليم شرق أفريقيا^١ ، و توجد أقلية منها في أمريكا الجنوبية ، و في الاتحاد السوفيتي ، و سـيام ، و تـايلـند ، و سورـينـام ، و أـسـترـالـيا^٢ ، و هناك نوع من الوثنية هي (الأرواحية) و هي نوع من الـديـانـة الطبيعـيةـ التي تـنـتـشـرـ دـاخـلـ غـينـيـاـ وـ الـأـمـزـونـ .

و الأديان بشكل عام تصنف إلى :

١- الأديان البدائية : و هو السائد بين الأقوام البدائية ، و يدخل فيها الأديان القدية كالآديان البائدة في الشرق الأوسط .

٢- الأديان البسيطة : كالأرواحية ، و الطوطمية ، و الفتـشـيةـ .

٣- الأديان الفلسفية : كالهندوسية ، و البوذية ، و الكونفـشـيوـسـيةـ .

^١: الجغرافية السياسية ، عبد المنعم عبد الوهاب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ م ، ص ٩٤

^٢: و يضم أقليم شرق أفريقيا : (أثيوبيا ، أوغندا ، بوروندي ، تنزانـيا ، موزـنـيـقـ ، مـلاـويـ ، زـامـبـياـ ، زـمـبـاـويـ) .

^٣: قارة أفريقيا ، دراسة الأقطار غير العربية ، هاشم خضر الجنابـيـ ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ م .

- ٤- الأديان الوحيانية : كاليهودية ، و المسيحية ، و الإسلام .
- ٥- الأديان الآرية : كأديان إيران القديمة ، و الهند ، و الروم ، و اليونان القديمة .
- ٦- أديان الشرق الأقصى : كالطاوية ، و الشنتو .

تاريخ الأديان وموضوعاته

يبحث تاريخ الأديان في الأديان التي نشأت في العالم ، سواء قامت هذه في الزمان الماضي ثم توارت (بائنة) ، أم لا تزال حية إلى الآن (سائنة) ، أم نشأت في الأزمنة الحديثة حتى اليوم (وضعية) . وأهم مواضيع تاريخ الأديان - بشكلٍ عام - هي :

- ١- نشأة الأديان ، و ارتكازها على تقاليد متوارثة ، أم على عمل مؤسس أنبعث من بادرته و عمله التيار الذي أدى إلى تكوين دينٍ معين .
- ٢- مصادر الأديان ، أي كتبها المقدسة ، و تقاليدها المتوارثة ابتداءً من الجماعة الأولى .
- ٣- محیطها الديني ، و علاقتها بهذا المحیط . و السؤال هل الدين الذي هو موضوع البحث وجه من تطور هذا المحیط ، أم إن الدين الجديد انتقاد لهذا المحیط ، أم فيه مواجهة للأديان الأخرى .
- ٤- تكون العقائد ، و التيارات و الفرق المختلفة .
- ٥- بسط العقائد و القيم الأخلاقية و القواعد السلوكية و العبادات و القوانين المنظمة لحياة الفرد و الجماعة .
- ٦- علاقة الدين المعين بالأديان الأخرى و التيارات الدينية الكبيرة في الماضي و الحاضر .
- ٧- الأديان الكبرى التي لها اليوم تأثير خاص في العالم و هي : الإسلام ، و المسيحية ، و اليهودية ، و كذلك : الهندوسية ، و البوذية .

إن الباحث في تاريخ الأديان يستفيد من بحثه فيسائر العلوم الإنسانية ، نظراً للصلات الوثيقة التي تربط بينها ، و تتأكد هذه الصلة في العلوم المشابهة . و

الدين - كظاهرة عاشت مع الإنسان منذ أن ظهر على وجه البسيطة - احتل أهمية خاصة عند أهل التحقيق بعد اتضاح تأثيره البالغ على حياة البشر ، ودوره الهام والواضح في نمو ونضوج العلم والفن .

و الفائدة الأخرى المترتبة على البحث في تاريخ الأديان ، هي تعزيز العلاقات بين المجتمعات المختلفة . من هنا تعمد الدول الكبرى و بغية إحكام سيطرتها على الدول الصغيرة إلى الاتصال بالمستشرقين - على سبيل المثال - للأستفادة من خبرتهم بعقائد الشعوب ونظمهم الروحية .

كما أن البحث في تاريخ الأديان يوفر منفعة لأصحاب الديانات أنفسهم ، ويفضي عمّاً لاعتقاداتهم الدينية ، حيث يتتيح لهم الفحص والتنتقيب عن التغرات والانحرافات التي تعترى الأديان الأخرى ، بغية إثبات صحة ما اعتقادوه به من دين .

كما أن الخوض في تاريخ الأديان يفسح المجال للوقوف على العقائد الدينية للشعوب ، الأمر الذي يُيسّر سبل هدايتها إلى الصراط السوي ، واطلاعها على ما يلمّ بعقائدها من نقائض^١ .

^١ : دروس في تاريخ الأديان ، حسين توفيقى ، ص ٢٦

أفريقيا المجتمع التقليدي والقبلي

إن هناك شعبان يكتسب أحصنهما أهمية خاصة في تاريخ (غرب أفريقيا)^١ و عند المؤرخين و الرحالة هما : (الفولاني) و (اليوربا) ، و نجد في أعمال (ديلافوس) أفضل تاريخ للفولاني بوصفهم صانعي حضارة غرب افريقيا^٢ .

لكننا لو ألقينا نظرة على الخريطة الديموغرافية نجد بها ثلاث مناطق ذات كثافة سكانية عالية و هي إمارات (هاوسا - فولاني) ، و مالك (يوربا) ، و بلدة (أبو) ، و تقع كلها في نيجيريا . و تختلف المناطق الثلاث عن بعضها اختلافاً بينماً حتى ليصعب الربط مباشرة بين الكثافة السكانية و بين العوامل التاريخية أو البيئية .

تقع بلدة (أبو) داخل غابة خطيرة في إقليم ذي تربة رسوبية فقيرة ، و لكن تم استئصال القطاع الأكبر منأشجار هذه الغابة و أبدلت بحزام من نخيل الزيت البري .

أما إمارات (هاوسا - فولاني) : و نذكر منها على سبيل المثال : (مدينة كانو ، و زاريو ، و سوكوتو و كاتسيينا) . إذ تضم هذه المدن مستوطنات مسورة يقطن كل منها بضعة آلاف من السكان ، و تشكل مراكز إدارية و تجارية لمناطق ريفية واسعة^٣ .

كذلك الحال بالنسبة لمدن إقليم (يوربا) فإنها مختلفة تماماً ، إذ يعيش الآن أكثر من ستين بالمائة من جملة السكان في الجزء الأوسط و يسكنون مدنًا تضم كل

^١ غرب أفريقيا إقليم كبير يشمل خمس عشرة دولة هي : (السنغال ، غامبيا ، الغابون ، غينيا بيساو ، غينيا كوناكري ، سيراليون ، ليبيريا ، ساحل العاج (كوت ديفوار) ، غانا ، توغو ، بنين ، نيجيريا ، بوركينا فاسو ، مالي ، موريتانيا) و يحد الإقليم من الشرق (ت Chad ، و الكاميرون) ، بينما يحده من الغرب و الجنوب المحيط الأطلسي ، و من الشمال يحده (الجزائر ، و ليبيا) ، يعد الإسلام الدين الرسمي لأغلبية السكان البالغ عددهم ما يزيد على مائتي مليون و خمسة ملايين نسمة ، بينهم مائة وأربعة عشر مليون سالم ، أي قرابة (٥٥ %) - بحسب ما نقلته مجلة المجتمع ، العدد (١٥٧٠) بتاريخ (٩ / ٢٧ / ٢٠٠٣ م) .

^٢ : قراءة سياسية للتوراة ، شفيق مقار ، رياض الرئيس للكتب و التشر ، لندن ، ١٩٨٧ م .

^٣ : أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، ب. م. لويد ، ترجمة : شوفي جلال ، كتب علم المعرفة ، ص ٢٨ .

واحدة منها أكثر من عشرين ألف نسمة . إلا أن هذه المستوطنات المسورة و المكتظة بسكانها نادراً ما تكتسب صبغة حضرية إذ أن ثلاثة أرباع البالغين من سكانها يعملون بالزراعة و يروحون و يجئون في رحلات يومية يقطعونها ما بين موطن سكناهم في المدينة إلى مزرعتهم التي تبعد قرابة خمسة أميال^١ .

يبدو أن النزعة القبلية (Tribalism) قد زادت في غرب أفريقيا خلال السنوات التالية لأولى الحركات الحاسمة نحو الاستقلال^٢ .

إن أكثر استعمالات الكلمة (قبلي) هي لوصف إنسان يلائم سلوكه مع المواقف الحديثة و لكنه يبقى على ولائه لشيخ و رؤسائه مسقط رأسه . و لكن ربما كان أكثر استعمالات الكلمة (القبلية) شيئاً هو الولاء لجماعة عرقية أو (قبليه) بحيث يكون الولاء لها موازيًّا ، إن لم يتجاوز الولاء للدولة الحديثة .

^١ : المصدر السابق ، ص ٢٩ .
^٢ : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

أفريقيا والدين

يعد مصطلح (الديانات الأفريقية التقليدية) مصطلحاً شاملاً يستخدم للتعبير عن جميع الأديان العرقية ، و العادات الدينية الشعبية لـ (شعوب افريقيا) ، بما قد يشمل التوافقات الموجودة بين الأديان و التقاليد ، و لا سيما المسيحية و الإسلام^١ .

يصعب جداً الفصل بين الشعائر التعبدية و مسالك الحياة اليومية عند أصحاب الديانات التقليدية الأفريقية ، حيث تجده الأفكار و المفاهيم الطقسية تتغلغل في ثقافة القبيلة ، في قصصها ، و في أساطيرها ، و طقوسها العلاجية ، و الجنائزية ، و أعيادها و احتفالاتها .

يعد الدين و العلاقة الروحية أمر أصيل في المجتمع الأفريقي ، حتى يظهر ذلك في نظام التسمية للمواليد الجدد ، حيث يشيع في كثير من القبائل الأفريقية تسمية المواليد الجدد بناءً على احداث ، و ظروف ، أو مناسبات ، أو أيام معينة خاصة بميلادهم ، وهذا بمجملة مرتبط بالقيم الدينية عندهم .

و يمكن تقسيم سكان أفريقيا الأصليين على أساس مستوى تطورهم (الاجتماعي / الاقتصادي) إلى ثلاث مجموعات غير متساوية تقربياً : القبائل المتنقلة الأكثر تخلفاً و التي تعيش على الصيد و القنص ، لا تعرف الزراعة و لا تربية الماشي و رعيها كـ (البوشين و أقزام وسط أفريقيا) ، ثم معظم شعوب أفريقيا السوداء أي السكان المزارعون و مربو الماشي في جنوب خط و على خط الأستواء الأفريقي كـ (الغوتينيين ، شعوب البانتو ، مجموعات من الشعوب المختلفة اللغات في السودان و حوض البحيرات العظمى) ، و

^١ : لا مطلقاً ، لكن بإنحاء معينة ، و لإسباب معينة ، و لظروف معينة .

شعوب الحضارات القديمة في شمال و شمال شرقي أفريقيا كـ(سكان مراكش الأصليين ، و الجزائر ، و تونس ، و ليبيا ، و مصر ، و الحبشة ، و الصومال)^١ .

^١ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ. توکاریف ، ترجمة : أحمد فاضل ، ١٩٩٨ م ، ص ١٥٥ (بتصرف)

أشهر الأديان الأفريقية

(نظرة خاطفة)

يتوزع ممارسو الديانات التقليدية في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بين (٤٣) دولة ، و يقدر عددهم بحوالي (٧٠) مليون نسمة ، أي (١٢٪) من سكان إفريقيا .

الإسلام يعد من أكبر الأديان في إفريقيا ، فهو يمثل نسبة (٤٥٪) و (٤٠٪) على التوالي بحسب بعض الإحصائيات^١ ، تشكل (الصوفية) ، و (المالكية) رأس الهرم فيها ، فهو يعتبر الدين الأكثر إنتشاراً ، و الأوسع من حيث الرقعة في إفريقيا ، ساعد في إنتشاره أسباب متعددة أبرزها :

١- العبيد الذين أشتراهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و علموهم ثم اعتقوهم لينشروا الإسلام في بلدانهم (الدعاة و المبلغون)^٢ .

٢- التجارة و التجار المتجولون^٣ .

٣- الفتوحات الإسلامية^٤ .

٤- الهجرات الطوعية و القسرية^٥ .

٥- الطرق الصوفية^٦ .

^١ : ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، الديانات الأفريقية التقليدية .

^٢ : فالإمام زين العابدين (ع) - مثلاً - كانت إحدى خصائصه عنقه للعبد حيث كان يشتريهم و يقوم بتعليمه و تهذيبهم ثم يحررهم لوجه الله ، فكان العبد عنده لا يستقر أكثر من ستة أشهر إلى سنة .

^٣ : و هم طائفة مهمة في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، و ذلك من خلال الإحتلال ، و حسن المعاملة ، و السكن ، و التزاوج ، و إنشاء القرى . من كتاب : المسلمين في غينيا ، محمد عبد القادر أحمد ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

^٤ : و يرجع لهم فضل نشر الإسلام منذ القرن الأول الهجري فصاعداً .

^٥ : كهجرة الصحابة الأولى بأمر من النبي (ص) إلى الحبشة ، و الهجرة التي حدثت في القرن الثاني الهجري و كان المهاجرون في أكثرهم من ذرية آل البيت (عليهم السلام) الذين عملت فيهم الدولة العباسية السيف دون رحمة ، على إنزال ذلك و في عام (٢٨٣ هـ) الموافق (٨٩٦ م) قامت السلطنة المخزومية في شرق إقليم (شوا) في الحبشة ، و دامت نحو (٣٨٩ عاماً) نشرت في خلالها الإسلام في معظم أقاليم شرق الحبشة و جنوبها مثل (شوا) و (عروسي) و (سدامو) ، و قد شن ملوك أسرة (زاقوري) المسيحية ثم ملوك الأسرة (السليمانية) حروبًا عدوانية على هذه السلطنة بقصد تحطيمها و إجلانها من البلاد . غير أن جهاد أولئك المؤمنين حفظ كيانها لمدة أربعة قرون ثمر انتشار الإسلام في كثير من مناطق الحبشة . - من كتاب مأساة الإسلام في الحبشة ، ص ١٣ .

^٦ : من خلال منهج التسامح و التعايش الإسلامي مع باقي الطوائف و الأديان الأخرى ، و استخدام طرق و وسائل الترغيب ، و ليس الترحب لنشر الدعوة الإسلامية ، فضلاً عن فتح المساجد و الزوايا ، و المدارس ، و شراء العبيد و تعليلهم ، و من أشهر الطرق

بينما نجد أن بعض الإحصائيات تعطي للمسيحية في إفريقيا نفس نسبة الإسلام أو أكثر بقليل لتعطيه (٤٧ %) من نسبة سكان إفريقيا كدين^١ رغم كون إنتشارها قد تزامن مع الحركة الاستعمارية ، إذ ليس لها تاريخ أقدم من ذلك إلا بعض نتف لا يمكن إعطائها أكثر من كونها جزئيات لا يقاس عليها مطلقاً^٢ . أما بالنسبة للديانة اليهودية فلا يمكن إنكار وجود هذه الديانة ، إذ أن لها اتباعاً ، و جماعات ، و أماكن عبادة في أماكن متفرقة من إفريقيا ، لكن إنتشارها أيضاً وبشكل أولي حديث أيضاً لا يتواافق مع عميقها التاريخي الديني . ثم تأتي بعد ذلك الأديان التقليدية ، أو البدائية ، أو الوضعية ، وهي كثيرة و متنوعة ، و ربما هي أكثر من أن تحصى في كتاب واحد .

لقد أدت عوامل عديدة و متنوعة إلى أن تظل كثير من القبائل الأفريقية على وثنيتها و ارتباطها العبادي بالطبيعة و أرواح الألاف أو الأجداد ، سواء أكان للأيديولوجيا و الاستعمار دور في ذلك أم لا ، أم كانت هناك أسباب و عوامل مهمة و رئيسية و حاسمة أدت إلى ذلك .

الصوفية : (القادرية ، و التيجانية ، و السنوسية) - يراجع كتاب : انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، عبد الله عبد غرازق ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٦ .

^١ : ويكتبها الموسوعة الحرة ، المسيحية في إفريقيا .

^٢ : فاقدم النصوص الإسلامية تشير إلى أن الحبشة كانت تدين باليسوعية مثلًا .

أفريقيا ومائز التعدد والتنوع الديني

(تعدد وتنوع الديانات)

إن المائز في القارة الأفريقية هو (تعدد و تنوع الديانات) فيها بشكل جعل من العسير حصرها و تبويبها ضمن نسق علمي أو إحصائي معروف .

إن كثيراً من عناصر الديانات الأفريقية مشتركة فيما بينها . إلا أن الأوضاع الجغرافية ، و الاقتصادية ، و نوع الحياة ، و النظم الاجتماعية جعل الغلبة لبعض تلك العناصر على غيرها في بعض الأماكن .

ففي قبائل (البوشمان) ، و هي تعيش على الصيد و القنص و تلمس الغذاء من الطبيعة ، نجد أن الجماعة تحيا حياة البدو ، لكثرة تنقلها . و لذلك تمتزج بالبيئة الطبيعية ، و هم لذلك يجدون الحيوان بوصف أنه أخ للإنسان أو توئمه ، و هو الحامي و الراعي للقبيلة . كما يعتقدون بجنيات الأحراس ، و يؤلهون الشمس و النجوم . و لهذا السبب نرى السحر الخاص بأغراض الصيد يحتل في معتقداتهم مكاناً بارزاً .

أما بين قبائل أفريقيا الجنوبية و الشرقية ، و هي قبائل زراعية في صميمها ، نجد أساطير عن الشمس و الفصول و السماء و الظواهر الجوية . و نجد القبيلة تلتف حول عبادة أبطالها القدماء و آلهة السموات . و أما الموتى من الآباء و الأجداد فهم أموات إلا أنهم أحيا ، يدخلون في زمرة آلة الأرض و العالم الذي يعيش في باطنها ، و قبائل النيل الأعلى يعبدون أيضاً أبطالهم و آلة الظواهر الجوية .

أما في الغابات الاستوائية الأفريقية فيسود الاعتقاد بفعل السحر لأصطياد الحيوان ، و ترعى الشعائر الدينية الزراعية إلى جانب عبادة الآباء و الأجداد و

تقاليد الختان . و الآلة بينهم أما ذكور و أما أناث ، تبعاً لتكوين المجتمع القبلي فإذا كانت السيادة فيه للرجل كان الآله ذكراً ، و إذا كانت السيادة فيه للمرأة كان الآله أنثى . و الأساطير التي تدور حول الحيوان و النبات منتشرة بينهم . و هي تأكيد على صلات القربي بين الإنسان و بين الحيوان و النبات .

أما الزنوج الأصليون المنتشرون من أعلى غينيا إلى أعلى النيل فصيادون . و لذلك يزعمون أن أصولهم تنحدر من بعض الحيوانات ، شأنهم في ذلك شأن بقية قبائل الصيادين . و لما كانوا أهل زرع أيضاً فيعبدون إلى جانب ذلك آلة للطبيعة و آلة للأرض ، كما يقدسون أسلافهم المؤسسين للقبيلة . و لما كان نظامهم السياسي لا يفرض عليهم الخضوع لرئيس ما فقد تبع كل فئة منهم عقيدة خاصة . و بذلك انقسمت إلى فئات دينية متعددة .

أما في المناطق الممتدة على ساحل غينيا (في الجزء الشرقي من ساحل العاج ، والأراضي الواطئة من ساحل الذهب ، و توغو ، و داهومي ، و جنوب غربي بلاد نيجيريا) فال الحال مختلف عن بقية المناطق ، إذ تميز تلك الأجزاء بقيام ممالك ذات حضارات راقية نسبياً ، بفضل إتصالها بالعالم الخارجي . و لذلك طرأ علىها تطورات خاصة في عبادتها تفوقت على أنواع العبادات المعروفة ، و أصبح السائد في تلك الأصقاع عبادة الملوك و آبائهم و أجدادهم ، و عبادة أبطال الأساطير ، و عبادة الآلة الصغرى و التي لها كهنوتها و أديرتها و أتباعها . كل هذا أضعف في قبائلها عبادة الآباء و تقديس الأرض . و نلحظ إلى جانب ذلك أن انتشار العرافة و التنجيم و السحر و الجمعيات الدينية أضعف من روح التمسك القبلي ، فتحرر الفرد من سيطرة المجتمع و تكونت له شخصية قائمة بذاتها و كيان مستقل لا نرى نظيره في القبائل الأخرى ، و أصبح للفرد في تلك المناطق من الحرية ما يجعله يختار لنفسه معبوداته و نوع عبادته أو الجمعية التي

ينتمي إليها و يتأنى مع أفرادها ، ولم يعد مجرد خلية من خلايا المجتمع . و هذه الحرية الفردية الدينية التي يتمتع بها هؤلاء جعلت للأديان الجدبلة الطارئة عليهم من الخارج إغراءً خاصاً حتى اعتنقها بعضهم^١ .

^١ : الديانات في إفريقيا السوداء ، هوبيير ديشان ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

أديان أفريقية تقليدية مشهورة

يبدو أن جميع شعوب إفريقيا تعتقد بوجود إله متعل خالق للكون ، إلا أنهم مختلفون اختلافاً كبيراً في تقدير سلطاته في تصريف أمور الدنيا ، و الفكرة السائلة بينهم هي أن هذا الإله يبعد بعداً شاسعاً عن العالم ، بحيث يصعب على الناس الاتصال به ، وأن الأخرى أن توجه العبادة إلى من دونه من الآلهة ؛ إذ أنهم المكلفو من قبله بالسهر على أمور هذه الأرض وهم رسلاه ووكلاوئه . و هذه هي الفكرة المشتركة لعقيدة (الشرك) بشكل عام ، فالمشركون يقرؤن بوجود إله ، لكنهم يعبدون غيره بحجة أنها تقربهم إليه زلفى .

قال تعالى : ((أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَاءِ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)) سورة الزمر ، الآية (٣) .

ليست للديانات الإفريقية الوثنية كتب مقدسة كتلك التي للوثنيات المشهورة في شبه الجزيرة الهندية على سبيل المثال ، أو طقوس جنائزية مكتوبة بلغة مقدسة كتلك الموجودة في الوثنية المصرية ، فالطقوس أمر متواتر ، و غالباً ما يختار القائمون على سدنة الأوثان بالوراثة أو بالتلبس ، و هو ما يجعل دراسة الأديان الأفريقية أمراً ليس بيسير ، لذا نجد أن جل الدراسات تعتمد على الملاحظة المباشرة للطقوس .

و هنا نورد أشهر الأديان التقليدية المشهورة في إفريقيا و التي منها :

^١ : الديانات في إفريقيا السوداء ، هوبيير ديشان ، ترجمة : أحمد صادق حمدي ، ٢٠١١ م ، ص ٤٤ .

١- ديانة أو ظاهرة (الفودو) (voodoo) :

و هي ظاهرة عبادية و ديانة تقليدية لقرابة عشرة ملايين شخص في غرب افريقيا ، و هي تمارس في اربع دول هي : (بنين ، توغو ، غانا ، نيجيريا) .
و يطلق اسم (فودون) (voudon) على كل شيء مقدس ، و منها نشأت العبادة الدينية (فودو) المعروفة في جزر الأنتيل . و هو بالفرنسية (هودو) ، و هو مذهب ديني توفيقى منحرف (Syncretism) متصل في غرب افريقيا ، و يمارس في أجزاء من منطقة الكاريبي خاصة في هايتي و أجزاء من جنوب الولايات المتحدة .

و هو يعد نوعاً من أنواع (السحر الأسود) الذي يقوم أهله ب باستخدام الأشباح و الجن لخدمتهم . يعتقد المؤرخون أن مذهب (الفودو) وجد في افريقيا منذ بداية التاريخ الإنساني ، و يقول بعض المؤرخون أنه يعود إلى أكثر من عشرة آلاف سنة .

الإله في معتقداتهم يتمثل في أرواح الأجداد والأباء الذين ماتوا ، و هذه الأرواح قادرة على مساعدتهم أو حتى معاقبتهم حسب ما يتصرفون . و وبالتالي فإن في معتقداتهم دائرة مقدسة تربط بين الأحياء و كل طقوسهم التي يمارسونها ترتبط في الأساس على إرضاء أرواح الموتى لنيل رضاهما ، و كثيراً ما تتمثل صورة الإله في ديانة (الفودو) في هيئة (أفعوان) ضخم حتى أن البعض ترجموا الكلمة الأفعى على أنها (الأفعى الضخمة التي تجمع كل من لديهم إيمان) و ككل الديانات الأخرى نجد أن الكهنة ذوي المرتبة الأعلى و الذين يطلق عليهم ألقاب (الأب) و (الأم) و هؤلاء الكهنة هم في الواقع خدمة الإله أو الأفعوان الكبير يعاقبون باسمه و يكافئون باسمه ، و بينما يطلق على الإله الأكبر اسم (بون ديو) نجد أن لديهم آلاف الأرواح التي تحب الأرض من حولهم و

يطلق عليها (لوا) ، و هذه الـ(لوا) قد تتمثل في أشكال علة و منها الـ(دامبلاء) و الـ(أجواه) و الـ(أجو) و الـ(جبا) و غيرها الكثير .
و وفقاً لعتقد سائد فإن أتباع (الفودو) يمكن أن يغرسوا دبابيس في دمى تمثل أعدائهم و يحرقونها على أمل أن تصيبهم اللعنة ، و يقال أنهم يستطيعوا تحويل الناس إلى (زومبي) .

إن السحر في الأديان البدائية مختلف عما نتصوره ، ففي تلك الأديان يُعد السحر طقوساً تقام لأجل الاستمداد من قوى الطبيعة و الاستعانة بها ، و يدير دفتها السحرة الذين لا يتميزون عن الآخرين في العلم بل بخلول قوى دفينة فيهم كما يعتقد بذلك الناس ، و يستغل السحرة تلك القوى لمعالجة المرضى ، و يطلق على صنف السحرة أسماء بحسب اللغة ، و الثقافة التي يتبع لها ، كما وأن السحرة يمارسون الرياضة في عزلة ، و يسمون أجسادهم بعلامات خاصة .

٢- الفتاشية (Fetishism) :

و تطلق وصفاً لبيانات الغرب الافريقي ، و هي مشتقة من اللغة البرتغالية من الكلمة (Fetico) ، و التي تطلق على أي عمل يصنعه الإنسان لغرض ديني كالتعاويذ الجالبة للحظ و التمائم ، و تعتبر (الفتاشية)^١ نوع من أنواع السحر ، أو البيانات القائمة على السحر .

يلتصق مفهوم (الفتاشية) لدى الكثيرين بشلة مع أفريقيا . ذلك أن البحارة البرتغاليين كانوا أول من لاحظ هذه الظاهرة في أفريقيا و ليس في غيرها في القرن الخامس عشر : وأشار الرحالة الهولندي (ويلهيلم بوسان) في مذكراته عام (١٧٠٥ م) عن غينيا العليا بأن كلمة (فيتيش) و شكلها الآخر بلغة الزنوج (بوسوم) (Bossoum) مشتقة من أسم صنم يعبدونه ، و يدعى لديهم (بوسوم) . ثم أصبحت هذه التسمية (الفتاشية) تطلق عموماً على أديان كافة شعوب أفريقيا .

و أتباع الديانة (الفتاشية) يعملون أصنامهم و أنصابهم على شكل إنسان جميل أو حيوان مخيف أو شيطان مريد أو عفريت من الجن من طين أو حجر أو خشب أو صخر فيعبدونه و يرقصون حوله و يقدمون له في بعض الحالات حتى الصحايا البشرية^٢ .

و هم يعتقدون بالسحر و الطلاسم و الأرواح الشريرة . و لكل قبيلة كاهن أو ساحر يقوم بتدبير أمور القبيلة ، و هو الواسطة بين (الفتيش) و الناس ، يعلم الغيب بما هو آت و يستنزل الغيث ، و يدل القبيلة على نوايا الأعداء .

^١: الفتاشية أو الفيتيشية .

^٢: الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توكراف ، ص ١٦٤ .

^٣: تاريخ الأديان ، الألوهية و تاريخ الآلهة ، فاروق الدملوجي ، ص ٢٦٨ .

و حسب معتقدات تلك الأقوام فإن حيازة (الفتيش) تعني الوصول إلى السعادة المنشودة .

٣- عبادة الأسلاف (ancestor worship) :

و يعد نوعاً من الأديان المشهورة في غرب افريقيا ، و هو عبادة الأسلاف ، أو الأجداد . (فإن أكثر السمات المميزة بروزاً و لفتاً للنظر في أديان شعوب افريقيا هي عبادة الأسلاف . و تعتبر افريقيا الموطن الكلاسيكي لهذه العبادة)^١ .

فيؤمن وثنيو الغرب الأفريقي بتجول أرواح الأجداد في الكون الفسيح ، و يعتقدون أن علاقتهم مع اسلافهم علاقة قوية ، و يشعرون برقابتهم المستمرة عليهم لاعتقادهم بوجودها حولهم و فيما بينهم .

إن الأيمان بمواصلة الأسلاف لحياتهم بعد الانتقال (الموت) أمر شائع ، و الأموات عند بعض القبائل موجودون وسط الأبناء ، فمثلاً عند قبيلة (اليوربا) يظل الأب الذي توفي يسمى (أبي) ، والأم المتوفاة (أمي) ويعاملون كأنهما لا يزالا على قيد الحياة ، فلموتى قد انتقلوا فقط من عالم مادي إلى عالم روحي دون أن يقطعوا الوشائج مع الأحياء .

و الطريقة الشائعة بين القبائل الوثنية في الاتصال بالأسلاف هي طقوس (الإرaque) التي قد تشتمل أحياناً على تقديم قرابين من طعام و خمر ، و يمارس هذا الطقس فردياً و جماعياً ، فقبل أن يشرب المرء منهم خمراً أو ماءً فإنه يريق بعضاً منه على الأرض ، و يعتقد أنه بهذا قد أعطى سلفه ما يحتاج من ماء أو خمر ، و قبل الأكل يلقي بلقمة من طعام على الأرض للأسلاف ، و يشيع سلوك بين وثنوي الغرب الأفريقي و بخاصة بين وثنوي قبيلة (الأكان) ، و هو التأكد قبل النوم من أن خزانات المياه بالبيت تحتوي على شيء من الماء ، فالأسلاف سيتجولون ليلاً ، و يحبون أن يرتووا من بيوت أقاربهم .

^١ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توکاریف ، ص ١٦١ .

يعتقد وثنيو قبيلة (الإيفي) في توغو بسلطة الأجداد الفائقة ، و بوساطتهم بينهم و بين الرب ، و فلسفتهم في ذلك أن الميت أقرب إلى الرب من الحي ، لكونه قد انتقل إلى بعد آخر يقربه من ربه أكثر فأكثر .

و يمثل الأسلاف عند (الميندي) دور الوسائل الروحيين ، عند حدوث أية ملأمة أو قضية ذات بعد روحي ، يشعر الأسلاف بها قبل خمسة أو ستة أيام قبل إقامة الاحتفال الطقوسي الخاص بتلك القضية .

أما وثنيو (الفون) فيعتقدون بأن أرواح أجدادهم تعيش داخل أو فرب المياه ، لذا تكون طقوسهم قرب الأنهر ، أو الشلالات .

أما وثنيو (الإيكو) فيسلكون مسلكاً غريباً جداً في تعظيم الأسلاف ، حيث ينبعشون قبورهم بعد موتهم لإخراج جماجمهم بعد سبعة أو تسعه أشهر من الدفن (تنبش قبور النساء بعد سبعة أشهر ، و قبور الرجال بعد تسعه أشهر) ، تغسل الجماجم جيداً ، و ترش عليها دماء القرابين من الديوك الصغار ، ثم تحفظ الجماجم في مكان معين انتظاراً ليوم الاحتفال الكبير (يوم تشريف و تذكر الموتى) .

إن هناك علاقة وطيدة بين عبادة الأسلاف و عبادة الموتى ، و إذا عدنا نظرة أتباع المدرسة الروحية (Animism)^١ عبادة ، فإن عبادة أرواح الموتى هي أصل الأديان . و مهما يكن من نقاش حول هذه النظرية فإن دراسة الأديان القديمة تطلعنا على أن العديد من الشعوب القديمة قد عبدت أرواح الموتى ، و التي تُعد من الدلائل المبكرة على الاعتقاد بوجود حياة بعد الموت .

تعتبر قبائل (الأشانتي) أهم من يمثلون الجنس الزنجي الحقيقي ، و هم يعتقدون أن الله في السموات العلا هو الذي يلعب الدور الأهم في حياة الناس

^١ : الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، محمد عبد الله دراز ، ص ١٣٣ ، ١٤٢

، ولكن يشوب معتقدهم هذا طقوس (عبادة الموتى) ، و من أهم أعيادهم يوم (عيد الموتى)^١ و الذي تقدم فيه الأضحى لأرواح موتى ملوكهم مسبوقة بصلوات خاصة^٢ .

^١ : يسمى هذا العيد (أودويرا) .

^٢ : معتقدات غريبة مازالت شائعة ، محمد كامل عبد الصمد ، ج ٣ ، ص ١٨١

مذهبية الآلهة المتعددة (polytheism) :

و هو نوع من أنواع العبادة القائم على تعدد الآلهة ، و الأعتقاد بأكثر من إله .
و يرى (ي . ج . براندر) في كتابه (أديان افريقيا) : (أن الأديان عديدة الآلهة متساحة في عقائدها ، يمكنها بسهولة قبول أديان و عقائد أخرى ، و لا يوجد فيها آلهة غيورة تجاه الشرك ، ما دامت لم تهاجم المعتقدات القديمة لهم ، لذا أخذت هذا الوصف) .

هناك عدد كبير جداً من الآلهة تعبد في غرب افريقيا كوسائل بين الخلق و الرب ، فيوجد على سبيل المثال عند قبيلة (الإيفي) وحدها في توغو و غانا ما يقرب من (٦٠٠) إله .

و تنقسم هذه الآلهة من حيث نطاق العمل و التأثير إلى قسمين :

الأول : خاص بحماية المجتمع و القبيلة ، يجوز لكل فرد أن يتلكه ، و هذه الآلهة يعتقد أنها أبناء للرب ، و أنها تعبد من زمن بعيد جداً بأسماها و أوضاعها الحالية ، تسمى عند (الأكان) في غانا بـ (Tete abosom) ، و عند (الإيفي) في توغو بـ (Togbuitrowo) .

الثاني : آلهة حديثة ، تستخدم في الغالب لطلب الصحة و الأعمال السحرية ، تسمى عند (الأكان) في غانا بـ (Suman Brafo) أو (Bosom Brafo) ، و عند (الإيفي) في توغو بـ (Dzositrowo) .

٥. الآلهة الصغرى أو آلهة المروبة الثانية :

الآلهة الصغرى جماعة موكلة من قبل الإله الأعظم بتصريف شؤون البسيطة ، و يختلف عددهم تبعاً للبلاد و الأقاليم ... لدى قبائل (لوبى) ما لا يقل عن عشرين إلهاً صغيراً ... و يبلغ عدد هؤلاء الآلهة بين قبائل (يوربا) قرابة أربعين إلهاً (يوربا) ... و يبلغ عدد هؤلاء الآلهة بين قبائل (ايفه) (الأسانطي) مائيون ، يرمز لهم بأحواض من نحاس ، و عند قبائل (ايفه) زراعيون يسكنون الأحراج منهم الذكر و منهم الأنثى ، فإذا اشتركت عشيرتان في تقديس إله بعينه حرم عليهما القتال و النزاع^١ .

فمثلاً نجد (النيليون الحاميون) يعتقدون بإله يرتبط بالجرو ، و تطلق عليه قبيلة (الماساي) اسم (نايتورو - كوب) أي : أول شيء أو خالق النظام الحالي . و تؤمن قبيلة (الناندي) بإله أعلى هو (إيسيس) يعيش في السماء ، و هو الذي خلق الإنسان و الحيوان ، و إليه تقدم الصلوات . و عندهم إله للرعد يماثل إله المطر عند قبيلة (السوك) ، غير أن الإله الأعلى (إيات) هو الذي يفرض الموت ، و منه تستمد الحياة .

^١ : البيانات في إفريقيا السوداء ، هوبيير ديشان ، ترجمة : أحمد صادق حمدي ، ص ٤٨ .

٦- عبادة الجن (Worship Goblin) :

يوجد عند قبائل (الدوجون) فريق من الجن يدعى (بيبان) وهم مخلوقات صغيرة الجسم نحيفة ، لهم رؤوس ضخمة ، وهم سلالة الإنسان الخالد ، ويسكنون الكهوف والأجحات الملففة ... و منهم فريق يدعى (ادمبولو) و هؤلاء هم الذين خلقوا الموت ... و فريق آخر (جينان) و هؤلاء يتميزون بأن لهم ذراعاً واحداً ، و ساقاً واحداً ، و شعر أخضر اللون ، و يسكنون الأشجار و هم يسببون المرض . و أما عند (الماندانج) فيعرفون باسم (وكلوو) و هؤلاء يتجلولون حول البيوت ليسرقوا الطعام . و لذلك ترى النساء يحرصن على تغطية الأواني و يمنعن أطفالهن من الخروج ليلاً خوفاً عليهم من أذاهم . و تعرف الجن عند (البامbara) باسم (دازيرى) و هي تحرس الدور و أخرى تسمى (سوبا) تحرس الطرق . و تقدم هذه القرابين من ثمر الكولا أو خيوط القطن حتى يتخلص الناس من أذاها^١ .

فمثلاً نجد أن قبائل (البامbara) تعبد الجن بالإضافة إلى السماء ، و أركان الأرض الأربع .

^١: الديانات في إفريقيا السوداء ، هوبير ديشان ، ص ٥٠ .

٧. عبادة (الطوطم) (Totem) :

إن من أغرب المعتقدات التي سادت في أواسط افريقيا و أرخبيل الهند هو الإيمان بـ (الطوطم) ، أو ما تسمى بـ (العبادات الطوطمية) .

و يقصد بالطوطم : صنماً يرمز إلى أي حيوان أو نبات كالبط و البومة و العقرب و الشaban و فرس البحر و الغزال و الذئب ... و الذرة و الفول و الحنطة و الشعير و الأشجار و غير ذلك . تتحترمه العشيرة و القبائل ، و تقدسه و تعبدle فلا تؤديه و لا تقتله و لا تلمسه و لا تطأه باقدامها حرمة ، و خشية ، و رعاية . كما و أن لكل قبيلة طوطماً عاماً يحترمه جميع أفراد القبيلة ، فهو أصل القبيلة و حاميها و منقذها من الأخطار . و لكل فرد طوطم خاص يحتفظ به لوقايته من الشرور ، و يحتمي به من الآفات و الأمراض و الأسقام في زمن السلم و الحرب ، فلا يقدم الفرد على قتل طوطمه أو ذبحه أو أكله إلا عند الضرورة القصوى و الإحتياج المبرم . و عند ذلك يأسف و يستغفر و يتوب . و قد تذبح القبيلة طوطمها العام فتأكل من لحمه و تشرب من دمه بقصد أن يشعر كل فرد أنه قد اتحد مع آلهة ، و ان في جسده جزءاً من أجزاء آلهة . و قد يشتراك في هذا العشاء المقدس جميع أفراد القبيلة للإندماج بإلههم . و هي عنونة قديمة عند البشر^١ .

تدور العبادة الطوطمية حول عبادة الحيوانات ، و هي - بطريقة أو بأخرى - تعكس الخوف الذي ينتاب الإنسان من الحيوانات الوحشية^٢ . و من هذه العبادات أنشقت أو أنفصلت عبادة الحيوانات .

^١ : تاريخ الأديان ، الألوهية و تاريخ الآلهة ، فاروق الدملوجي ، ٢٠٠٤ م ، ص ٢٦٧ .

^٢ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توكلروف ، ترجمة : أحمد فاضل ، دار الأهلي - دمشق ، ١٩٩٨ ، ص ١٦٣ .

عبدة الحيوان (Zoolatreia) :

إن عبادة الحيوان (زولاتريا) الواسعة الأنتشار في أفريقيا ، بعيلة عن أن تكون ذات ارتباط دائم بالأصل الطوطمي . و جذورها في معظم الحالات ، كما يبدو ، مباشرة أكثر و متواصلة ، إذ أنها تكمن في الخوف الخرافي للإنسان من الأخطار التي تسببها الحيوانات الوحشية .

يحظى الفهد بعبادة خاصة في أفريقيا ؛ إنه أحد أكثر الحيوانات البرية وحشية و خطورة . لكن هذا لا يعني كثيراً من الشعوب من السعي وراءه لاقتنائه . و ترتبط عبادة الفهد كـ (حيوان) بالطوطمية عن طريق غير مباشر : فمحلياً (في داهومي مثلاً) كان الفهد يعتبر طوطم الأسرة المالكة .

و تنتشر عبادة الأفعى على نطاق واسع . و قد وجد البشر (أونغير) عام (١٨٦٤ م) في (داهومي) ذاتها معبداً حقيقياً للأفاعي ، حيث كان يحفظ فيه أكثر من ثلاثين نوع منها . و كان هناك في (أويدا) سابقاً مكان مقدس لأفاعي الصخر (البيتون) و غيرها من الأفاعي ، قام بخدمتها كاهن مختص . فكان يطعمها ، و يحملها بيديه ، و يلفها حول جسده . كما أن إله الحق أي إله بالأفاعي كان يعد إثماً عظيماً و ذنبًا لا يغتفر لدى تلك الشعوب التي تتمتع فيها هذه الحيوانات بالعبادة والتجليل^١ .

تنشر بين قبيلة (البارونجا) بأفريقيا الوسطى - مثلاً - عقيلة تحول بعض الناس إلى ضباع بعد انسدال الظلام ، و أنهم يتتجولون في هذه الصورة الحيوانية من قرية إلى أخرى ، تاركين أشباحاً تخل مکانهم في منازلهم . و يلاحظ أن هذا الاعتقاد ينتشر في مجتمعات أخرى ، و لكن لا يوجد اعتقاد بتتحول الحيوان إلى صورة الإنسان البشري . و مع تماثل فكرة أن أرواح الأسلاف تسكن أجسام

^١ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توکاریف ، ص ١٦٣ .

الحيوانات فإن الفكرة تختلف في تفاصيلها ، فيقول (الزولو) : إن أرواح أسلافهم تسكن الأفاعي ، ومن ثم فإنهم لا يقتلونها ، و ترى قبيلة (الماساي) نفس الأعتقد ، ولكنهم يحددون أفعى خاصة لكل قبيلة ، بل و لكل أسرة . هذا ، و ترى بعض القبائل في غرب افريقيا أن أرواح الأسلاف تسكن التماسيح التي في مجاري المياه ؛ و لذلك تنتشر البرك المسورة التي في كل منها تمساح يُطعمه الأهالي بالدجاج ، و هم يعتقدون إن رخاء القرية متوقف على بقاء التمساح .

و جدير بالإشارة إن للتمساح في هذه المناطق حارسه الخاص الذي يعد له الطعام ، و يرد عنه أنظار المتطلعين ، و بخاصة من الغرباء عن القرية ، بل بعضهم يزيد العناية به ، فيعينون قارع طبلٍ خاصاً ليدلهم بدقاته على وصول شخص غريب إلى القرية^١ .

^١ : معنقدات غريبة مازالت شائعة ، محمد كامل عبد الصمد ، ج ٣ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

٩. عبادة الزعماء (Cult leaders) :

إن أحد الأشكال الأكثر تمييزاً لأديان شعوب أفريقيا هو عبادة (الزعماء المقدسين) و هو يتواافق مع طبيعة تشكل النظام الاجتماعي الظبي المبكر الذي أخذت به كثير من شعوب هذا الجزء من المعمورة .

تبعد عبادة الزعماء (الملوك) في افريقيا في مظاهر شديدة التنوع . في قيام الزعيم بأداء الوظائف الكهنوتجية أو السحرية ؛ إكساب الزعيم خصائص خارقة للطبيعة والتوجه في العبادة مباشرة إليه ؛ عبادة الزعماء الموتى . و هنا بالإمكان تحديد مرحلتين تقريباً لتطور عبادة الزعماء تطابقان مراحل الأنتقال من النظام الاجتماعي ما قبل الظبي إلى النظام القائم على انقسام المجتمع إلى طبقات : فإذا كان الزعيم يقوم في المرحلة الأولى بدور الشخصية الرسمية في الجماعة ، المسؤول عن راحتها و طمأنينتها ، و هذا الهدف يكتسبه نوعية (خارقة) فالزعيم ليس موظفاً في المرحلة الثانية ، بل أمراً - طاغية ، و ليست (الوهبيته) سوى وسيلة لتقوية سلطته و تمجيد ذاته^١ .

لقد شكلت عبادة الزعماء و الملوك - الأحياء منهم و الأموات - أهم صيغة من أشكال العبادة القبلية لدى العديد من الشعوب القدية^٢ .

^١ : الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توکاریف ، ص ١٦٩
^٢ : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

١٠. الديانات اليوروبية : (The Yoruba Religion)

تعد (الليوربا) من أكبر المجموعات العرقية^١ إذ يبلغ تعدادهم حوالي (٣٠ مليون) يوربي في غرب أفريقيا ، غالبيتهم يعيشون في نيجيريا إذ يمثلون نسبة (٢٦٪) من جموع سكانها ، و البقية متوزعون في (بنين ، توغو ، سيراليون ، وكوبا ، والبرازيل) . أما في نيجيريا فيتواجد الليوربيون غالباً في ولاية (كوجي) ، و ولاية (إدو) ، و ولاية (أيو) من أشهر دياناتهم (أوريشا) . و اللغة اليوروبية هي لغة تستخدمن جنوب الصحراء الكبرى ، تعد اللغة الأم بالنسبة لشعوب اليوربا ، وهي لغة رسمية في نيجيريا ، و هي من اللغات (النغمية) . تتكون الديانة اليوروبية من الدين الأصلي لشعب (ليوربا) ، و موطنه الأصلي في جنوب غرب نيجيريا ، و الأجزاء المجاورة لكل من (بنين) و (توغو) ، و هي منطقة أصبحت تعرف باسم (ليوربلاند) . يتشكل الدين (ليوري) من تقاليد مختلفة ، و لا يوجد له مؤسس واحد . و معتقدات الديانة (الليوربية) جزء من (الإيتيان) ، و هي عبارة عن مزيج مجمع من الأغاني و التواريخ و القصص و المفاهيم الثقافية الأخرى التي تشكل المجتمع اليووري . فمثلاً نجد من المعتقدات الغريبة عند قبيلة (ليوربا) في نيجيريا ، حيث يخافون من التوائم ، لدرجة أنهم يدعون على امرأة غضبوها منها بالقول : (نتمنى لك أن تصبحي أماً لتوئم)^٢ .

^١: تعتبر ثالثي أكبر القبائل النيجيرية عدداً بعد الهوسا.

^٢: معتقدات غريبة مازالت شائعة ، محمد كامل عبد الصمد ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .

١١. عبادة المظاهر الطبيعية :

يذكر تفسيران لهذه العبادة :

الأول : هو تفسير (تايلور) : الذي يرى أن العقلية البدائية فيها من سذاجة الطفولة ما يقصر بها عن التمييز بين الحمد و الحيوان ، و يجعلها تعامل كلاً منها معاملة الكائنات الحية .

الثاني : ما ذهب إليه (سبنسر) : و هو أن عبادة الطبيعتيات هي نتيجة لتباس لغوي في أسماء الأسلاف المقدسين ، ذلك أن الأسلاف كانوا أحياناً بأسماء مواد طبيعية ، نجم ، نمر ، حجر ، فانتقل التقديس من أصحاب تلك الأسماء إلى الأشياء بتلك الأسماء نفسها .

إن رمزية المقدس المعبد غير مقبولة لدى غير معتقديه ، و يعبر (إلياد) عن هذه المشكلة بقوله : يصعب على بعض الناس أن يقبل تجلي المقدس في الحجر أو في الشجر ، مع أن الأمر لا يتعلّق بتقديس الحجرة أو الشجرة بحد ذاتها ، الحجرة و الشجرة المقدستان لا تعبّران بما هما كذلك ؛ بل لأنهما ظاهرات إليه ، فهما تظهّران شيئاً لم يعد حيناً ولا شجرياً ، بل شيئاً مختلفاً كلياً .

^١ : الدين ، دراز ، ص ١٤٠ .

^٢ : المقدمون و الدلنيوي ، مرسيا إلياد ، ترجمة : نهاد خياطة ، العربي للطباعة و النشر - دمشق ، ١٩٨٧ ، ص ١٤ .

معتقدات غريبة عند قبائل جنوب نيجيريا

تعتقد القبائل الإفريقية التي تعيش في الجزء الجنوبي من نيجيريا أن الإنسان البشري مكون من خمسة أشياء منفصل بعضها عن بعض ، وإن الصلة بينها وثيقة .

أولها: الجسم البشري : بكيانه المادي من لحم و دم ...

و ثانيها: الجسم الأثيري : أي المشاعر ...

و ثالثها: الجسم العقلي : أي التفكير ...

و رابعها: النطق الروحي : ...

و خامسها: ما فوق النفس : ...

و هم يعتبرون أن (الجسم البشري) هو القسم الملموس من الإنسان ، و هو أقل هذه الأقسام قيمة و أهمية ؛ لأنه مجرد إطار مادي تعمل داخله الأجسام الأربع الأخرى ما دام الجسم البشري على قيد الحياة ، ثم ينتهي هذا الإطار بانتهاء الحياة ، أي بالموت .

و لكن الأفريقي الأسود يرى أن الجسم الأثيري يموت هو الآخر بدوره بانتهاء الحياة ، فلم يعد من سبيل للحس ، فهو إذن جسم وقتي ، مثله مثل الكيان الظاهري يتعرض للفناء ، و كل دوره أنه مثل العربة التي تحمل (القوة الحية) طوال بقاء الجسم البشري على وجه الأرض .

أما الجسم العقلي ، فإنه لا يتعرض للفناء مثله مثل الجسم الروحي الذي لا يموت ؛ لأن الله يبعثه في الإنسان ، فإذا ما قضي على الإنسان بالموت بقيت الروح حية .

أما بالنسبة لما هو (فوق النفس) فقد تعارفوا عليها باسم (الشعلة المقدسة) التي هي ومضة من الومضات القدسية التي تملأ الكون المرئي وغير المرئي ، ومن ثم فهي لا تتكامل إطلاقاً ضمن الجسم الفاني الزائل ، بل تبقى دائماً جزءاً من عالم أكبر وأبعد ، في حل روحية نقية ؛ و لهذا فإنها ترسل سيالاً من الوعي ينفذ من طبقات العالم المرئي حتى تصل إلى الأرض ، فتتصل بهؤلاء الذين كانت لها بهم صلات .

و عن طريق هذا الوعي الروحي يستطيع الإنسان أن يحقق الكمال والنجاح . فهذه الو مضة المقدسة لا تبعث للإنسان الحي بالمعونة السماوية فحسب ، بل إنها تعاونه لتحقيق الكمال الروحي^١ .

و من العقائد التي يؤمنون بها أيضاً عقيلة (التجسد ثانية) التي تقرر أن الأرواح تعود على أثر هذا التحول الذي يسمى بالموت إلى الأرض في طابع بشري ؛ لتمنح فرصة العمل من جديد ، وهي فرصة تتقرر تبعاً للوجود الأول ، فأولئك الذين قاموا في حياتهم الأولى بالخير و عملوا لنفع الناس فإنهم يولدون من جديد في نطاق يمكنهم من أن يفعلوا المزيد من الخير في حياتهم الثانية ، و هكذا^٢ .

أما أولئك الذين كانوا رسلاً شر في حياتهم الأولى ، فإنهم يولدون من جديد في مستوى أقل من مستواهم السابق في حياتهم الأولى^٣ .

^١ : الثقافت الأفريقية ، محمد عبد الفتاح إبراهيم (بتصرف) .

^٢ : جدير بالذكر أن نفس هذه الفكرة نجدها عند الهند القديمي في كتاب (الفيدا) الأربعية .

^٣ : الثقافت الأفريقية ، محمد عبد الفتاح إبراهيم (بتصرف) نقلًا عن كتاب : معتقدات غريبة ما زالت شائعة ، محمد كامل عبد الصمد ، ج ٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٢ .

الرقص الافريقي

يوجد إعتقاد سائد عند قبائل (البانتو) بشرق افريقيا في مدى تأثير و فاعلية الرقص الذي تقوم به النساء ، حيث إن هذا الرقص هو الذي يقرر سير الحوادث في ميدان القتال .

و جدير بالذكر أن النساء تصبغ وجوههن و شعورهن بالصيغ الذي يستخدمه المحاربون ، كما يعلقن في أعناقهن بعض الطلاسم و التعاوين ، كما يحملن أسلحة خفيفة أو ما شابهها ، و يقمن بهجمات على دمى تمثل العدو ، لها رؤوس من ثمار بعض النباتات ، فيطحون بها بعنف ، و هن يوجهن إليها اللعنات .

هذا ، و يتولى قيادة رقصات الحرب عند (البانتو) أحد السحراء العرافين الذي ينشد الأغاني في صحبة مرتلين آخرين .

و يصبح الراقصون الذكور وجوههم و يضعون دروعهم فوق رؤوسهم ، و يحملون بأيديهم بدلاً من أسلحتهم عصياً سحرية مزينة بقطع من الفراء .. و يتبع الراقصون دقات الطبول و يحركون أجسامهم متارجحين يمنة و يسراً ، و هو يدقون الأرض بأعقاب أقدامهم .

و لا يتوقف الرقص إلا بعد أن يجهد الراقصون ، ثم يعودون إلى الرقص بعد تناول الطعام و الشراب .

و هم يعتقدون أن هذا الرقص يقوى الراقصين قبل أن يخرجوا للقاء العدو أو الإغارة على أرضه و ماشيته .

أما بالنسبة لرقصات الحرب في غرب افريقيا فهي تتم وهم يحملون أسلحتهم ..
و يبدأ الرقص بجماعات صغيرة ، و يتزايد العدد مع استمرار الرقص و دق
الطبول .

و في كل دورة يندفع الرجل صائحين و قد شرعوا حرابهم في مستوى رؤوسهم
، و يغزون حرابهم في خط قد حُفر على الأرض .

و عندما يصيح الراقصون المحاربون صيحات الحرب يشترك في الصياح كل الذين
يقفون حول الحلبة .

و جدير بالإشارة أن النساء تشاركن في رقصات الحرب ، و لكن في مجموعة خاصة
بهن ، و هن ينشدن أغنية سحرية أشبه بصلة مهمة .

و مع أن رقصات الحرب تختلف من منطقة إلى أخرى في افريقيا ، فإنها كلها
تستهدف إثارة حماسة المحاربين .

و من الجدير بالإشارة أيضاً أن أفراد القبائل يتعلمون الغناء و الرقص كما
يتعلمون الكلام ، و لا يرقص أحد كي يطرب الآخرين ، و لكنه يرقص ليعبر
عما يشعر به ، فيترجم بالنغم و الحركة ما يريد التعبير عنه ، و هو ما يعرف بـ(الرقص التقليدي) .

و الأهم من هذا أن أفراد القبائل لا يرقصون جماعات في حشد كبير ، و في
مناسبات معينة ، من أهمها ما يحدث عند بداية موسم الأمطار عندما تجتمع
القرية كلها رجالاً و نساءً ، شيئاً و شيئاً على دقات الطبول لزراعة الحقول ...
فإذا جاء الليل اجتمعوا كلهم على ضوء القمر فرحين بهذا التعاون المتبادل في
العمل و استمتعوا بالرقص .

كما يتجمع أفراد القبيلة للرقص للأحتفال بعودة جندي ، أو برحلة صيد ، أو
حتى للتفاهم بين زعيمي قبيلتين .

و من هنا يتضح أن الرقص الأفريقي سمة من سمات الحياة الأفريقية ، لا ينفصل عن أي شيء آخر^١ .

^١ : معقدات غريبة مازالت شائعة ، محمد كامل عبد الصمد ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

القرابين

اختلف نوع القرابين المهدأة إلى الألهة بين الأقوام ، فمن إراقة الماء أو الشراب و إهداه الزهور و المخاليل إلى ذبح الحيوانات والأطفال و النساء ، مروراً بإلقاء الأطفال في النار ، و كان يُلْجأ أحياناً - و للحيلولة دون اخفاض عدد النفوس - إلى الإغارة على بلاد أخرى لجلب الأسرى ، و ذبحهم كقربان أمام الألهة^١ .

و ثمة نوع آخر من القرابين راج بين مختلف الأقوام يُطلق عليه قرابين العفة ، حيث تُمارس الدعارة احتراماً للأصنام (Hierodouleia) .

إهراق الجرعة نوع آخر من القرابين التي كانت جزءاً من مراسيم الاحتفال بتعاطي الشراب ، و جاء ذكره في (التوراة)^٢ .

و في الشعر العربي نجد :

شربنا و أهرقنا على الأرض جُرعةً فل الأرض من كأس الكرام نصيب
و قد نُسخَتْ أخذ الإنسان كقربان في العصور اللاحقة ، و بقي منحصراً في
الحيوانات ، إلا أنه ظل يُمارس إلى عصر قريب من عصراً .

أما في العصر الحاضر فإن قوانين البلدان تمنع القيام بمثل هذا الفعل الشنيع ، و لكن لم تزل بين الحين و الآخر ترد أخبار من مناطق نائية في (الهند) أو (أفريقيا) - مثلاً - مفادها : أن وثنياً ذبح ابنه بعيداً عن أعين الشرطة قرباناً للألهة ، أو أنه كاد يفعل ذلك لو لا منع الناس إليه ، و يُعد ارتكاب هذا الفعل اليوم جريمة يعاقب عليها صاحبها ، على الرغم من التمجيل و الثناء الذي كان يناله في الماضي السحيق .

^١ : دروس في تاريخ الأديان ، حسين توفيق ، ص ٣٣ .
^٢ : الخروج : ٤٩ / ٤١ .

المصادر والمراجع

- ١- نشأة الدين ، النظريات التطورية و المؤلهة ، علي سامي النشار ، الاسكندرية ، دار نشر الثقافة ، ١٩٤٩ م .
- ٢- نظريات الدين البدائي ، ادورد ايغانز بريتشارد ، ترجمة حسن قبيسي ، دار الحداثة بيروت ط ١٩٨٦ .
- ٣- تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٥ هـ) .
- ٤- مجلة المجتمع ، العدد (١٥٧٠) بتاريخ (٢٠٠٣ / ٩ / ٢٧) م .
- ٥- قراءة سياسية للتوراة ، شفيق مقار ، رياض الرئيس للكتب و النشر ، لندن ، ١٩٨٧ م .
- ٦- أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، ب . س . لويد ، ترجمة : شوقي جلال ، كتب عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٠ م .
- ٧- الأديان في تاريخ شعوب العالم ، سيرغي أ . توکاریف ، ترجمة : أحمد فاضل ، ١٩٩١ م ، دار الأهالي - دمشق .
- ٨- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، الديانات الأفريقية التقليدية .
- ٩- المسلمين في غينيا ، محمد عبد القادر أحمد ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- ١٠- من كتاب مؤسسة الإسلام في الحبشة ، بلا مؤلف ، بلا تاريخ . يحمل الرقم (٤٩٤٥) مكتبة الروضية الحيدرية المقدسة .
- ١١- انتشار الإسلام في غرب أفريقيا ، عبد الله عبد غلرازق ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- ١٢- الديانات في أفريقيا السوداء ، هوبير ديشان ، ترجمة : أحمد صادق حمدي ، ٢٠١١ م .

١٣- تاريخ الأديان ، الألوهية و تاريخ الآلهة ، فاروق الدملوجي ، ٢٠٠٤ م .

١٤- الدين بحوث مهلهلة لدراسة تاريخ الأديان ، محمد عبد الله دراز ، دار القلم - الكويت .

١٥- معتقدات غريبة ما زالت شائعة ، محمد كامل عبد الصمد ، مكتبة الدار العربية للكتاب - مصر ، ط١ ، ١٩٩٥ م .

١٦- المقدس و الدنيوي ، مرسيا إلياد ، ترجمة : نهاد خياطة ، العربي للطباعة و النشر - دمشق ، ١٩٨٧ م .

17: Voltaire , Essai sur les moeurs .

18: Voir P . de la Boullaye , ouvrage cite .

19: Laresusse du XXeme siècle , article : Religion .

20: B.St . Hiliaire , Mahomet et le Coran .

21: Henri Bergson . Les Deux Sources de la Morale et de la Religion .

٢٢- دروس في تاريخ الأديان ، حسين توفيقى ، ترجمة : انور الرصافى ، منشورات جامعة المصطفى العالمية ، قم - إيران ، ط٣ ، ١٤٣٠ هـ .

٢٣- تفصيل آيات القرآن الحكيم ، جون لا بوم ، ترجمة : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٤- الرب ، والله ، و جوجو : الأديان في أفريقيا المعاصرة ، القس جاك مندلسون.

25: Websters , The Third Vem International Dictionary Spring Field mass .Gt (marrian) 1961 .

٢٦- الجغرافية السياسية ، عبد المنعم عبد الوهاب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ م ، دار الطباعة و النشر - العراق .

٢٧- قارة أفريقيا ، دراسة الأقطار غير العربية ، هاشم خضر الجنابي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٧ م ، العراق .

٢٨- البدائية ، اشلي مونتياغو ، ترجمة د . محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٢ م ، تسلسل و رقم الكتاب (٥٣) .

الفهرس

- ١- المقدمة.
- ٢- الدين.
- ٣- الانثروبولوجيا الدينية.
- ٤- تصنيف الأديان.
- ٥- تاريخ الأديان ومواضيعها.
- ٦- أفريقيا المجتمع التقليدي والقبلي.
- ٧- أفريقيا والدين.
- ٨- أشهر الأديان الأفريقية.
- ٩- أفريقيا ومايز التعدد والتنوع الديني.
- ١٠- أديان إفريقية تقليدية مشهورة.
- ١- ديانة أو ظاهرة (الغودو).
- ٢- الفتشرية.
- ٣- عبادة الأسلاف.
- ٤- ديانة الآلهة المتعددة.
- ٥- الآلهة الصغرى أو آلهة المرتبة الثانية.
- ٦- عبادة الجن.
- ٧- عبادة (الطوطم).
- ٨- عبادة الحيوان.
- ٩- عبادة الزعماء.
- ١٠- الديانات البيرية.
- ١١- عبادة المظاهر الطبيعية.

١٢- معتقدات غريبة عند قبائل جنوب نيجيريا.

١٣- الرقص الأفريقي.

١٤- القرابين.

١٥- المصادر والمراجع.

١٦- الفهرس.

